قراءة في كتاب
كيف واجه الإسلام الفساد الإداري
(حكومة دبي – دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ قسم البحوث)
(١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)

عرض الدكتور

عزيز إسماعيل محمد العزي

كتاب كيف واجه الإسلام الفساد الإداري هو من الإصدارات المهمة لدائرة والأوقاف والشؤون الإسلامية- حكومة دبي وهو يسلط الضوء على واحد من المواضيع المهمة بل الأكثر أهمية كونه من مواضيع الساعة.

لقد اشتمل الكتاب على مقدمة وتمهيد يتضمن دلالة الفساد في اللغة والاصطلاح وعلى ثلاثة مباحث وخاتمة.

لقد أوضح المؤلفان في المبحث الأول كيفية معالجة القرآن الكريم للفساد وذكروا إحصائيات عن عدد ذكر كلمة الفساد ومشتقاتها في القرآن الكريم حيث وردت في خمسين موضعاً في كتاب الله تعالى موزعة على ثلاثة وعشرين سورة.

وذكر المؤلفان أن كلمة الفساد جاءت في القرآن الكريم بمعاني متعددة منها الهلاك كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة].

وجاءت بمعنى العصيان والقتل والتخريب والتدمير والقحط والسحر وأكل مال الغير وقد بين المؤلفان المنهجية التي اتخذها القرآن الكريم في القضاء على الفساد ونتائجه حيثما توفرت أسبابه ودواعيه.

قال الله تعالى حكاية عن بلقيس ملكة سبأ: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النمل].

ودعا القرآن الكريم إلى منع وقوع الفساد بإشاعة الجو الصالح واتخاذ الأسباب في استثمار الإمكانات والوسائل كقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

أما عن منهج السنة النبوية المطهرة في معالجة الفساد ومحاربته فقد أورد المؤلفان بأن المهمة السامية في بعثة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد التوحيد هي الإصلاح ونشر

الخير والفضيلة في كل جوانب الحياة الإنسانية على مستوى الفرد والمجتمع والدولة وسواء كان في الجانب العقائدي أو الأخلاقي أو البناء الاقتصادي أو الإداري وغير ذلك.

وفي هذا المجال يذكر المؤلفان حديث النبي محمد ﷺ قال: «**طوبى للغرباء الذين يصلحون ما افسد الناس من بعدي في سنتي**» رواه الترمذي في سننه برقم (٢٦٣٠).

وفي حديث أخر قوله عليه الصلاة والسلام: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى قال: اصلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة**» رواه أبو داود في سننه برقم (١٦٢٥) والترمذي برقم (٢٥٠٩).

وهكذا يتبين سعة القرآن الكريم والسنة النبوية في شمولها مسألة الفساد وعلاجه.

وتناول المؤلفان في **المبحث الثاني** نظام الإدارة في الإسلام وعرفوه من حيث اللغة والاصطلاح من خلال معاجم اللغة والمصطلحات وذكروا بأن الإدارة هو ذلك النشاط الذي يعمل على تحديد وتحقيق الأهداف بواسطة الآخرين لأعمالهم والتوجيه الواعي لمساراتهم والرقابة الفعالة لأدائهم في ظل اتخاذ القرارات الرشيدة.

وبعبارة أخرى فان الإدارة هي تنسيق الموارد البشرية وغير البشرية من اجل تحقيق أهداف معينة.

والإدارة في الإسلام علم يعتمد المبادئ الأساسية في الإسلام ويرتكز على العقيدة الإسلامية التي تضمن الأداء بصور سليمة وصادقة للقيام بدور عمارة الأرض قال الله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١].

فالإداري ينطلق في إيمانه الذي يمثل الحركة والعمل والبناء والتعمير والإصلاح.

وذكر المؤلفان خصائص العمل الإداري في الإسلام من حيث أن العمل عبادة يتقرب العبد بها إلى الله ﷻ ورسالة يؤديها لأنه إرث الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ولهذا كان سجل العمل في الإسلام يحمل أسمى الخدمات الإنسانية ومن ثّم فإن العمل في الإسلام يُحدث حالة من التفاعل والترابط والتعاون.

وهو عمل أخلاقي يعتمد القيم والمبادئ السامية قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك].

وأشار المؤلفان إلى أن الملامح الأولى للنظام الإداري في الإسلام كانت متمثلة بصحيفة المدينة المنورة وهو أول ميثاق للحكم في المدينة المنورة والنواة الأولى والأساس لبناء دولة الإسلام في تاريخ الإنسانية.

لقد وضعها النبي ﷺ موضع الإجراء والتنفيذ في تنظيم الدولة الإسلامية ثم بدأت فيما بعد الإعمال الإدارية في كتابة العهود والمواثيق والصدقات والغنائم والرسائل التي تُبعث إلى ملوك العالم وثمة كتّاب لمعت أسماؤهم في العهد النبوي والراشدي كأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت ﷺ وآخرون.

وكان هناك سفراء ومستشارون وولاة تميزت أعمالهم بشؤون الإدارة والمشورة والحكم، ولعل تدوين الدواوين يعد من الأمور التنظيمية الإدارية الكبيرة في الإدارة الإسلامية.

وأما **المبحث الثالث** فقد تطرق المؤلفان فيه إلى أسباب الفساد الإداري وعلى رأسها الرغبة من اجل الحصول على المنافع الشخصية غير المشروعة ومحاولة التهرب من الكلفة الواجبة وكل ذلك ناتج عن عدم الكفاية في توفير الحاجات الأساسية للموظف والرغبة في الربح السريع من غير بذل جهد مكافئ وكذلك انعدام التقوى والانسلاخ من القيم الخلقية والحس الوطني.

وقد تحدث المؤلفان عن الوسائل المستخدمة في الإسلام لمعالجة الفساد وعلى رأسها نظرية اختيار القوي الأمين ونظرية الرقابة الإدارية أما لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص].

ثم أن على المدير أو القائد أن يتمتع باللين من غير ضعف وعليه أن يكون عادلاً قائماً بمسؤوليته حق القيام لقوله عليه الصلاة والسلام: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**» رواه البخاري برقم (٦٧٣١) ومسلم برقم (١٤٢).

وأن يكون صاحب المسؤولية قدوة وأنموذجاً في التطبيق لمن كان تحت مسؤوليته، فإذا كان المدير يتمتع بتلك الصفات كان سبباً من أسباب النجاح ودرء الفساد.

وكذلك استعمالها الأصلح في تولي المسؤولية وقد ذكر المؤلفان اختيارات ونماذج اختارها الرسول ﷺ والخلفاء من بعده لمن هو الأصلح لتولي المسؤولية كأختيار الرسول ﷺ لأبي عبيدة بن الجراح ﷺ لليهود في المدينة لكي يحكم بينهم في أشياء اختلفوا عليها في أموالهم بعد طلبهم ذلك من رسول الله ﷺ.

وعرج المؤلفان في نهاية المبحث إلى صيانة حقوق الموظف لان تداعيات الفساد في الإدارة أن تبخس حقوق الموظفين أو تهدر عن طريق التعسف في تطبيق الأنظمة والتعليمات قد سعت الإدارة الإسلامية إلى بناء الثقة عند الموظف بدائرته وحفظ حقوقه لقوله علية الصلاة والسلام: «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**» رواه ابن ماجه برقم (٨١٧/٢).

فعلى هذا النهج الإداري القويم سار رسول الله ﷺ وآله وصحبه رضي الله عنهم في إدارة الدولة الإسلامية فأصلحوا الحياة وعمروا الدنيا والآخرة كقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص].

أما الرقابة الإدارية في الإسلام جاءت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء].

وهي المحافظة على الأموال العامة وحمايتها من العبث وهي تخضع للقواعد الشرعية العامة فقد ذكر أبو يعلى في الأحكام السلطانية «أن على الخليفة أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة فقد يخون الأمين ويغش الناصح».

لذلك فأن على ولي الأمر النهوض بمهمة الأشراف والمراقبة بنفسه أو بمن يثق بهم وذلك عن طرق لجان أو مؤسسات الرقابة المالية والإدارية وبوسائل مختلفة كبث العيون وإرسال النواب واستخدام العمال وأهل الشكاوى والاستماع إليهم والجولات التفتيشية وغيرها.

وكذلك اتخاذ القرارات اللازمة بشأن المخالفين كالعزل الوظيفي أو مصادرة الأموال أو السجن وما إلى ذلك من العقوبات بحق المفسدين.

ثم ختم المؤلفان الكتاب بخاتمة من أهمها:

١. تفعيل القيم الإسلامية وتحصين الفرد من داخله.

٢. تبصير الموظفين بواجباتهم والحرص عليها.

٣. المحاسبة والمراقبة الدائمة.

٤. مكافأة المتميزين من الموظفين.

والحمد لله أولاً وأخيراً...